١٢

علم نفس قرآنى جديد

العجوة.. العجوة..

أنعدوا

obeikandl.com

إذا صادفت فى الطريق شابا فى الثلاثين يبدو كأنه فى السبعين يلهث ويسعل ويبصق ويجرجر قدميه. فإذا استوقفته وسألته لم يفهمك ولم يستطع التركيز ولاحظت الشحوب على وجهه والشرود فى عينيه فذلك الذى رأيت هو أحد منكوبى التلوث وأحد ضحايا العوادم التى تملأ الجو.. وأحد مدمنى استنشاق الأدخنة السوداء التى تنطلق من مئات المتوسيكلات وسيارات الديزل والعربات القديمة الهالكة.

وهذه العوادم هى خليط من سموم الكادميوم والرصاص والقطران.. وهى تدخل إلى القصبة الهوائية والشعب والرئتين وتؤدى إلى التهاب الشعب المزمن والربو والسرطان وتتسرب إلى الدم وتصل المخ وتتلف الدوائر الكهربية فى مراكز الذاكرة والاستشعار العصبى وتؤدى إلى البلادة والعته والغباء وصعوبة التركيز وتصل إلى الكليتين وتؤدى إلى الفشل الكلوى.. فإذا أضفنا إلى ذلك.. التلوث السمعى بالضجيج والكلاكسات ومكبرات الصوت وما يؤدى إليه من طرش وصمم وثقل كريه للسمع.. فنحن أمام كارثة لابد من تداركها قبل أن يصاب جيل بأسره بالشيخوخة المبكرة والأمراض القاتلة.

وإدارات المرور فى القاهرة الكبرى والجيزة مسئولة عن ترك هذه المتوسيكلات التى تعمل بالزيت المخلوط بالبنزين والتى

تخرج هذا القطران السام فى وجوه الناس.. ومسئولة عن العربات الهالكة التى تسمم المارة بعوادمها.. ومفروض أن تسحب رخص هذه العربات وأن تمنع تماماً أنواع الموتوسيكلات التى تعمل بالزيت المخلوط بالبنزين وأن تمنع الكلاكسات المزعجة وأن تحدد استخدام مكبرات الصوت لتكون داخل سرادقات العزاء وليس خارجها.

ومحافظ القاهرة ومحافظ الجيزة فارسان مشهود لهما باليقظة والحسم والكفاءة.

وقد وصل الزحام والتكدس المرورى والسكنى فى القاهرة الكبرى والجيزة إلى درجة تدعو إلى سن قوانين وإجراءات جديدة لتدارك الأمر.

ومشاريع الدلتا الجديدة فى الصعيد ونقل المياه العذبة إلى سيناء وتخضير الصحارى وزرع المناطق الجرداء وتعمير آلاف الفدادين من الأرض الخراب.. كل هذا سوف ينقل بعض الزحام من قلب العاصمة إلى أطراف القطر.. ولكن مازال أمامنا سنين إن شاء الله لتحقيق هذا الحلم.. وبعد هذه السنين للأسف سوف يولد ملايين جدد.. وسوف تملأ هذه الملايين الخلاء الموجود فى الدلتا المرتقبة وفى سيناء المستقبل.. وسوف تستمر الحلقة المفرغة.

إن الأرض تبلع لكن الأرحام تدفع.. والمواليد الجدد أكثر من المرتحلين والتوسعات سوف تكون «يدوبك» على مقدار الزيادة.

إن تأجيل المشاكل إلى حين تحقق الأحلام ليس حلا.. فآلة التناسل الجهنمية لا تكف عن العمل وهى تأكل الفائض أولا بأول.. والزحام الذى سوف يهاجر إلى الأطراف سوف يأتى زحام جديد ليحل محله.

والخلاصة المفيدة أنه لا يصح أن نعلق مشاكلنا على شماعة الغد وعلى مشروعات الأحلام.

وإنما الحل هو أن ننهض لمعالجة كل مشكلة دون تأجيل ونبادر إلى إصلاح كل عيب دون تسويف.. والحالة الحاضرة فى القاهرة تدنت إلى درجة لا تسمح بمهادنة أو انتظار.

إن الشوارع تختنق والمارة يتنفسون سموما ولا بد من إجراءات مرورية حاسمة وقوانين مشددة لمحاصرة الضوضاء وسحب الرخص من هذه الزبالة القديمة المتحركة.

إن الأورام السرطانية تضاعفت بين زوار المستشفيات بدرجة تثير الريبة. وسرطان البنكرياس والبروستاتة والشعب الرئوية وأورام الكبد وحالات الفشل الكلوى كثرت لدرجة تثير الدهشة.. وأكثر من خمسين فى المائة من الشباب يعانون من ضغط الدم والأرق وضعف السمع وصعوبة التركيز.

ولابد من البحث عن حل للملايين الذين يتدفقون من الأرياف للقاهرة للارتزاق.

وحكاية الفلاح الذى يأتى إلى القاهرة ليشترى الزبد والجبن واللبن تثير أكثر من سؤال.

هل الريف المنتج انتهى..؟!! وأصبحت القرية تأكل خبزها وجبنها وزبدها من القاهرة.. وماذا يفعل الفلاح فى قريته..؟؟ يدخن الشيشة ويسهر أمام التليفزيون للفجر وينام مع آخر رقصة لفيفى عبده.!!

إذن لابد من تعديل كامل لبرامج التليفزيون واختصار مساحة السهر لصالح المواطنين.

وفى إسرائيل ينتهى البث التليفزيونى فى الساعة الحادية

عشرة مساء لأن الكل يعمل ويصحو عند الفجر وعندنا يستمر البث ٢٤ ساعة تقليدا لأوروبا وأمريكا.. ولكن الفلاح المصرى غير الفلاح الأمريكى والمراهق المصرى يعيش فى ظروف مختلفة عن المراهق الأمريكى.. والقيم فى مصر غير القيم فى أمريكا والبرامج فى التليفزيون الأوروبى غير برامجنا.. والتقليد فى هذه الأمور لا ينفع.. والفن الجيد هو الذى ينبت من بيئة أهله ومن ظروفهم.. والبرامج الأجنبية موجودة بكثرة على «الدش» يراها الذين يملكون وسائلها فلن تكون هناك أزمة عند هواة مايكل جاكسون ومادونا.. ولكننا نريد أن نرى حضارتنا وثقافتنا على مساحة أكبر على شاشتنا الصغيرة.. وأن يسهر شعبنا وشبابنا فى حدود مصلحته وإمكاناته.

نريد أن نرى بلدنا وهويتنا.. فى برامجنا وتليفزيوننا.

ولابد أن نعود بالقرية إلى سالف عهدها كمصدر للخير لا كمستهلك يهاجر إلى المدينة كل يوم ليشترى غذاءه ويقضى حاجاته.. ولابد أن تستقل القرية بخدماتها ومرافقها ومدارسها فلا يحتاج الفلاح أن يحمل أهله على ظهره وينزل إلى القاهرة ليحل مشاكله، ولابد أن تخرج وزاراتنا من قلب القاهرة المزدحم إلى المدن الجديدة.

وفى بعض مدن أوروبا هناك مداخل للمدن ولا توجد رخصة إقامة فى المدن إلا للعاملين فيها أو للسائحين الذين يحملون جوازاتهم الشخصية.. ولا توجد ظاهرة الهجرة بالالوف والملايين لكل حامل مشنة وكل بائع جوال يبيت كما يحلو له فى ميدان السيدة أو على أرصفة الحسين أو على أسفلت العتبة.

لابد من التفكير فى ضوابط لهذه الهجرة السائبة لملايين

المتسولين والباعة المتجولين ومفترشى الأرصفة المتدفقين من الأرياف على القاهرة كل يوم فى مئات الأتوبيسات وعلى ظهور البغال والحمير.. لقد تحول الريف إلى مضخة هائلة تضخ ملايين البشر إلى العاصمة كل عام وتلقى بالشحاذين فى وجه كل سائح.

والقاهرة تختنق.

وسوف يتضاعف الاختناق وسوف يتضاعف التلوث وسوف تتضاعف حالات الربو والنزلات الشعبية والأورام السرطانية وضغط الدم والشيخوخة المبكرة بين الشباب.

وفى القاهرة ١٢ مليون مواطن فيهم صفوة البلد وقياداتها وفيهم أهل الفن والفكر والثقافة وصانعو المستقبل لمنطقتنا العربية.

والقاهرة ثروة وتاريخ وشبابها هو كل ثروتها والتلوث يهدد الأمن الصحى للمواطن بأكثر مما يهدده الإرهاب.

وقنبلة التلوث تؤدى إلى نوع من الإنفجار المتسلسل ينسف الجسم ببطء فيشيخ عضوا فعضوا.. فهى أشبه بالإرهاب المزمن المستمر.. الذى يستدعى حشدا كاملا من طواقم العمل.

والتلوث هو قضية الساعة وهو الشغل الشاغل للعالم كله وليس كلام جرائد.

وفى اليابان عدادات فى الشوارع لقياس التلوث وعدادات أخرى لقياس الضجيج بمثل ما تقيس أجهزة رختر ذبذبات الزلازل.. وتخرج النشرات اليومية وفيها أرقام يومية بمقاييس الضجيج فى طوكيو بوحدات «الدسيبل».

وعلاج التلوث معناه أفواج سياحية أكبر ودخل سياحى أكبر

ومعناه شباب أكثر نشاطا وأفضل صحة وأكثر انتاجا ومعناه اقتصاد وطنى أنجح.

إن القضية تستحق لفتة جادة من كل مسئول.. قبل أن يفوت الوقت وتغلق القاهرة أبوابها على من فيها ثم تستحيل الحركة إلى الأمام أو إلى الخلف أو إلى أى اتجاه من اتجاهات البوصلة.

وأرجو أن أكون قد بلغت.

اللهم فاشهد.

العقـــل

وأخرج بكم من هذا المستنقع إلى نزهة على شاطىء العقل ونستريح معا بعض الوقت من هذا الزحام والتلوث ومن جو القاهرة الخانق بين سطور هذا الكتاب القيم المسمى بـ «العقل» للدكتور هانى عبدالرحمن مكروم.

ويرى الدكتور هانى أن نجاة البشرية من الهلاك مرهون بالأخذ بأسباب العقل وبأهداب الإيمان.

إن مشروعات أنبياء الأمس كانت بعث روح المحبة والرحمة فى الناس والدعوة إلى مكارم الأخلاق وإلى معرفة الله وإلى سعادة الآخرة.

ومشروعات أنبياء اليوم هى اقتصاد السوق وبناء المحطات الفضائية والنزول على المريخ والتمسك بأهداب الكومبيوتر.

هدف أنبياء الأمس كان ميلاد الإنسان الربانى الذى عرف ربه وبلغ السمو الذى استشرف به إلى الملكوت.

وهدف أنبياء اليوم هو الإنسان الآلى والفتوة الآلية والقنابل الذرية والأسلحة الجهنمية التى تضمن له السيادة على البشر

والسيطرة على العقل وقيادة التاريخ إلى حيث يريدون.

إنسان اليوم يحسب أن الحضارة شوكة وسكين وإيتيكيت وأطعمة مجمدة فى الفريزر ويظن أن الحرية هى كشف العورة ومزاولة الشذوذ وعبادة الشيطان والتطاول فى البنيان وتكديس الثروات واقتناء العمارات ويرى أن كل شىء عند العقلاء مباح وقابل للتفاوض وللبيع والشراء.. حتى الأجساد والأعراض.. ما دامت المصلحة تقول ببيعها.

ويتصور الكثيرون أن راكب الطائرة أرقى ممن يسير على الشاطىء وأن البلاستيك أرقى من الخشب والشمبانيا أرقى من العرقسوس.. وينسى الجميع أن الحضارة المادية التى افتتنوا بها قد اشعلت حربين عالميتين لم تشهد البشرية لدمارها مثيلا بطول التاريخ.. وهى بسبيلها إلى إشعال حرب عالمية ثالثة أشنع وأدهى بسبب هذه العقلية المادية المفرطة.

وإنسان اليوم المادى يتصور أن «الرزق» الذى تتكلم عنه الكتب السماوية هو المال.. وينسى أن العقل والحكمة والصحة واستقامة الضمير والصبر على المكاره هى أرزاق أعظم وأكبر فى قيمتها من المال الذى ينفد ومن العملة التى تفقد قيمتها والمتاع الذى يبلى.. وهو ينظر بنظرة مادية تشريحية إلى كل شىء ويفقد القدرة على الرؤية الكلية والنظرة الشمولية التى تهدى صاحبها إلى الحكمة والاستنارة.

والكتاب يأخذ بيد القارىء ليخرجه من مستنقع العقلية المادية إلى رحابة العقلية الشمولية المنفتحة فى رفق وهوادة عبر أكثر من ربعمائة صفحة من التفكير الهادىء السليم.

وما أحوجنا لهذه الرحلة فى هذا الاختناق المادى الذى نعيش فيه.